

قصة آية

1

النفاق والمنافقون

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
إشراف : أ. حمدي مصطفى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
ب - حي الميناء - القاهرة - 11511
هاتف : 3333 3333

النفاق والمنافقون

قال تعالى :

﴿ وَإِذَا الْقَوْمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۚ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۚ ﴾ [البقرة : ١٤ - ١٦]

كان الحق قد يملأ قلب عبد الله بن أبي بن سلول ، والظلام يحيط به من كل جانب . لكنه كان ضعيفا لا يقدر على التصريح بما في مكنون ضميره ، فبحث عن وسيلة يصد بها عن دين الله ويحرض ضد الرسول ﷺ وصحابته دون أن يصبه أذى أو يناله سوء ،

وهداه شيطانه إلى حيلة مأكرة وخبيثة ، فأظهر
الإسلام من طرف لسانه ، لكنه أضمر في قلبه
الكفر والنفاق .

يُعْطِيكَ مِنْ طَرْفِ اللُّسَانِ حَلَاوَةً
وَيُرْوِغُ مِنْكَ كَمَا يُرْوِغُ الشَّعْلَبُ
قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ ، كَانَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنٍ سَلُولٍ عَلَى وَشَكِّ أَنْ يُصْبِحَ
مَلِكًا لِلأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ ، فَقَدْ جَمَعُوا لَهُ الْخَرْزَ ،
وَصَنَعُوا لَهُ التَّاجَ حَتَّى يُتَوَجَّوهُ مَلِكًا ، لَكِنَّ اللَّهَ
أَرَادَ غَيْرَ ذَلِكَ .

فَمَا إِنْ هَاجَرَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ ، حَتَّى
انْصَرَفَ النَّاسُ عَنْ ابْنِ أَبِي بَنٍ سَلُولٍ وَالتَّفُّوا
حَوْلَ الرَّسُولِ ﷺ لِكَيْ يَقْتَبِسُوا مِنْ نَوْرِهِ ،
وَتَسَابَقَ الصَّحَابَةُ فِي إِظْهَارِ حِفَاوَتِهِمْ وَحُبِّهِمْ

العميق الصادق للرسول ﷺ ، حتى ضربوا
أروع مثل في الحب الصادق النبيل ، مما جعل
أحد المشركين يقول :

- ما رأيت أحدا يحب أحدا ، كما يحب
أصحاب محمد محمدا .

ومنذ هذه اللحظة ، امتلأ قلب عبد الله بن أبي
بن سلول بالحق والكرهية للإسلام ولنبي
الإسلام ﷺ وللمسلمين جميعا ، لكنه لم يجد
حيلة ينفس بها عن غيظه إلا في الكيد الخفي
والتآمر ضد الإسلام مع كل أعدائه .

كانت شوكة المسلمين قوية في المدينة ، فقد
أيد الله المسلمين بنصره في مواضع كثيرة ،
واتحد المهاجرون والأنصار وأصبحوا قوة
حقيقية تدافع عن الإسلام ، ولذلك فقد لجأ

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنْ سَلُولٍ إِلَى هَذِهِ الْوَسِيلَةِ
الْمَاكِرَةِ ، فَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ وَأَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ
الْكُفْرَ . ادَّعَى أَنَّهُ أَسْلَمَ ، وَقَلْبُهُ يَغْلِي بِالْحَقِّدِ
وَالْكِرَاهِيَةِ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَلِذَلِكَ فَقَدْ
كَانَ النِّفَاقُ هُوَ وَسِيلَتَهُ هُوَ وَأَتْبَاعُهُ فِي مُحَارَبَةِ
الْمُسْلِمِينَ وَالْكَيْدِ لَهُمْ .

فَذَاتَ يَوْمٍ وَبَيْنَمَا كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنْ
سَلُولٍ وَأَتْبَاعُهُ يَسِيرُونَ فِي الطَّرِيقِ ، إِذْ أَبْصَرُوا
جَمَاعَةً مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ ، فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ
الصَّدِيقُ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ،
فَلَمَّا رَأَوْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنْ سَلُولٍ زَعِيمُ
الْمُنَافِقِينَ قَالَ لِأَتْبَاعِهِ وَالْغِيْظُ يَمَلَأُ قَلْبَهُ :

— انْظُرُوا كَيْفَ أَتَعَامَلُ مَعَ هَؤُلَاءِ السُّفَهَاءِ ؟
فَأَيْدُوهُ وَسَارُوا خَلْفَهُ حَتَّى يَرَوْا مَاذَا يَصْنَعُ .

تقدم عبد الله بن أبي بن سلول ، وسلم على
أبي بكر ، وابتسامة عريضة تعلو وجهه وقال
في حفاوة وترحاب :

- مرحبا بالصديق ، سيد بني تيم وشيخ
الإسلام ، وثاني اثنين إذ هما في الغار ، الباذل
نفسه وماله لرسول الله ﷺ .

ولم يزد أبو بكر الصديق على أن حياه ثم هم
بالانصراف .

فأقبل ابن سلول على عمر بن الخطاب وأخذ
بيده وهو يحتضنه ويقول :

- مرحبا بسيد بني عدى بن كعب ، الفاروق
القوى في دين الله ، الباذل نفسه وماله لرسول
الله ﷺ .

ثم سلم على علي بن أبي طالب وبالع في

الاحتفاء به وقال وهو يربّت على كتفه :
مرحبا بابن عم رسول الله ﷺ ، وسيد بني
هاشم ما عدا رسول الله ﷺ .

وفعل ابن أبي بن سلول ذلك مع باقي الصحابة
رضوان الله عليهم قبل أن يمشوا إلى رسول
الله ﷺ .

وبعد أن انصرف الصحابة رضوان الله
عليهم مال عبد الله بن أبي بن سلول على
أتباعه وقال :

- كيف رأيتموني فعلت بهؤلاء ؟

فقالوا وهم يغالبون الضحك :

- لقد لعبت بعقولهم ، حتى كادوا يصدقون

ما قلته عنهم .

فقال عبد الله بن أبي بن سلول :

- يجب أن تتعلموا من ذلك ، فإذا رأيتموهم ،
فافعلوا كما فعلت !

وضحك عبد الله بن أبي بن سلول هو وأتباعه
من هذه الحيلة الماكرة وهذه الطريقة الخبيثة
التي سخروا بها من صحابة الرسول ﷺ .

وعندما عاد الصحابة إلى الرسول ﷺ أخبروه
بما حدث من عبد الله بن أبي بن سلول ، ونزلت
الآيات الكريمة لتفضح أمر هؤلاء المنافقين .

وانكشف المستور بالنسبة لهؤلاء المنافقين ،
بعد أن أعلم الله رسوله شأن هؤلاء وخداعهم .

فهم يتظاهرون بالإيمان حتى ينجوا من عقاب
المؤمنين ، ولا يهتمون بعقاب الله لهم في
الآخرة ، ولو علموا شدة عذاب الله لامتنعوا
عن أفعالهم .

وَأَخْبَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَيَنْتَصِرُ
لِلْمُسْلِمِينَ وَسَيُثَارِلُهُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ ،
سَوَاءً كَانَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْآخِرَةِ ، فَإِذَا
كَانَ الْمُنَافِقُونَ يَسْتَهْزِئُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ
اللَّهَ - تَعَالَى - سَوْفَ يَسْتَهْزِئُ مِنْ هَؤُلَاءِ
الْمُنَافِقِينَ ، وَسَوْفَ يَرُدُّ لِلْمُؤْمِنِينَ أَعْيَارَهُمْ .

فَقَدْ رَوَى فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١٣)

أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يَفْتَحُ لِلْمُنَافِقِينَ بَابَ جَهَنَّمَ
مِنَ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ :
- تَعَالَوْا .

فَيُقْبَلُونَ يَسْبَحُونَ فِي النَّارِ ، وَالْمُؤْمِنُونَ عَلَى
الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ ، فَإِذَا وَصَلُوا إِلَى بَابِ

الْجَنَّةِ سُدَّ فِي وُجُوهِهِمْ ، فَيَضْحَكُ الْمُؤْمِنُونَ
مِنْهُمْ . فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى

الْأَرَابِكِ يُنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾

[المطففين : ٣٤ - ٣٥]

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ سَخَرُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ذَاتَ
يَوْمٍ ، وَحَسَبُوا أَنَّ ذَلِكَ نَهَايَةُ الْمَطَافِ سَرَفَ
يَذُوقُونَ مِنْ نَفْسِ الْكَأْسِ ، وَشَتَّانَ بَيْنَ الْكَأْسَيْنِ ،
فَهُمْ لَمْ يَزِيدُوا عَلَى أَنْ أَتَوْا بِحَرَكَاتٍ صَبْيَانِيَّةٍ
وظَنُّوا أَنَّهُمْ بَتَلَكَّ الْحَرَكَاتِ قَدْ نَالُوا مَا يُرِيدُونَ .
أَمَّا كَأْسُ الْعَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَهِيَ كَأْسٌ مَرَّةً
مَرِيرَةً ، يَتَجَرَّعُهَا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ وَهُوَ لَا يَكَادُ
يَسِيغُهَا .

إِنَّ النِّفَاقَ هُوَ أخطرُ الْآفَاتِ الَّتِي قَدْ يَبْتَلَى بِهَا

إِنْسَانٌ ، فَالْمُنَافِقُ إِنْسَانٌ لَا مَبْدَأَ لَهُ ، وَلَا هَدَفَ
لَهُ فِي الْحَيَاةِ إِلَّا الْوُصُولُ إِلَى مَصْلَحَتِهِ وَإِرْضَاءِ
ذَاتِهِ وَأَهْوَاءِهِ .

وَلِذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ تَوَعَّدَ الْمُنَافِقِينَ
أَمْثَالَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنٍ سُلُولٍ بِأَشَدِّ الْعَذَابِ .
قَالَ تَعَالَى :

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجْعَدَ
لَهُمْ فَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٤٥]

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

- إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ :

الْمُنَافِقُونَ ، وَمَنْ كَفَرَ مِنْ أَصْحَابِ الْمَائِدَةِ ، وَآلُ
فِرْعَوْنَ . وَتَصَدِّقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ - تَعَالَى - :

قَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِ الْمُنَافِقِينَ :

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾

وقال تعالى في أصحاب المائدة :

﴿ فَإِنِّي أَعَذُّبُهُ عَذَابًا لَّا أَعَذُّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١١٥﴾

[المائدة : ١١٥]

وقال في آل فرعون :

﴿ أَذْخَلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ ﴿٤٦﴾

[غافر : ٤٦]

وقال تعالى :

﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ

بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ

أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ

الْفَاسِقُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ

وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ

اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ ﴿٦٨﴾ [التوبة : ٦٧ - ٦٨]

وقد حرص الرسول ﷺ على أن يتحلى
المسلمون بالصدق ويتأوا بأنفسهم عن النفاق
والرياء حتى يتقبل الله منهم صالح أعمالهم ،
فرب إنسان ليس له من عمله سوى التعب
والنصب .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت
رسول الله ﷺ يقول :

« إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ
اسْتَشْهَدَ ، فَأُتِيَ بِهِ ، فَعَرَفَهُ نِعْمَتَهُ فَعَرَفَهَا - أَيْ
أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عَرَفَ عَبْدَهُ بِالنِّعَمِ
الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا - قَالَ : فَمَا عَمِلْتُ
فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ ، قَالَ :
كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ : جَرِيءٌ !
فَقَدْ قِيلَ . ثُمَّ أُمِرَ بِهِ ، فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ

حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ .

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأَتَى
بِهِ ، فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا . قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟
قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ ، وَقَرَأْتُ فِيكَ
الْقُرْآنَ ، قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ :
عَالِمٌ ! وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ : هُوَ قَارِئٌ ! فَقَدْ
قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ
فِي النَّارِ .

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ
الْمَالِ ، فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ ، فَعَرَفَهَا . قَالَ :
فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ
تُحِبُّ أَنْ يَنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ . قَالَ :
كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ : هُوَ جَوَادٌ ! فَقَدْ
قِيلَ . ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي
النَّارِ . (رواه مسلم)

ولعل الذي يتأمل هذا الحديث الشريف
يفرعه هذا المنظر لثلاثة رجال أحدهم استشهد ،
والآخر تعلم وعلم وقرأ القرآن ، والثالث
تصدق وأنفق ، ومع ذلك فهم يدخلون النار . .
تري ما السبب ؟ وما الذي أوصلهم إلى هذا
المصير ؟

إن السبب في ذلك كما أشار رسول الله ﷺ يرجع
إلى أخطر آفة يبتلى بها إنسان كما أشرنا وهي
النفاق والرياء ، حيث يقصد الإنسان من وراء
ما يقوم به من أعمال أن يتحدث عنه الناس
فيمدحوه ويشكروه ، ولا يقصد بها وجه الله ،
ولذلك لم يتقبل الله منه أعماله ، وأدخله النار .
وقد أخبرنا الرسول ﷺ بصفات المنافق حتى
نبعد عنها ونبذها فقال ﷺ :

« آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا
وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » وفي رواية :
وإذا خاصم فجر .

نَسْأَلُ اللَّهَ - تَعَالَى - أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَنَا مِنَ التَّفَاقُ
وَالرِّيَاءِ وَمِنَ الْغَدْرِ وَالْخِيَانَةِ ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا الصَّدْقَ ،
وَالْإِخْلَاصَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَأَنْ يَجْعَلَ الْقُرْآنَ
الْكَرِيمَ رَبِيعَ قُلُوبِنَا وَجِلَاءَ أَحْزَانِنَا وَنُورَ أَبْصَارِنَا
وَأَنْ يَجْعَلَ الْوَارِثَ مِنَّا ، وَأَنْ يَجْعَلَ مِنَّا
يُجَاهِدُونَ وَيَتَعَلَّمُونَ وَيُنْفِقُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
بِإِخْلَاصٍ وَصِدْقٍ وَيَقِينٍ !